

# التشكيلات العسكرية في الموصل منذ أواخر العهد العثماني إلى 1958

ا.د. إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث المتمرس - جامعة الموصل

كان الجيش العثماني ، بمثابة الأداة الحكومية الرئيسية في الهيمنة على ولاية الموصل (وتشمل آنذاك ألوية الموصل - كركوك - أربيل - السليمانية ) . ولهذا أظهرت السلطات العثمانية طيلة تاريخها في العراق (1516-1918 ) ، كما في المناطق الأخرى عناية كبيرة بقواها العسكرية هناك لتكون على أهبة الاستعداد لغايات أمنية وأخرى دفاعية ضد المخاطر الإيرانية. تلك المخاطر التي أصبحت ماثلة للعيان خاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. لهذا أمر السلطان محمود الثاني 1809-1839 ، بتطبيق إصلاحاته العسكرية بكل حزم في جهات العراق عامة والمنطقة الشمالية منه بصورة خاصة اثر حله النظام الانكشاري سنة 1826.

## المرحلة الأولى :العهد العثماني حتى 1908

يعد محمد اينجه بيرقدار أول من عمل على تطبيق نظام التجنيد الإجباري والتدريب الحديث في الموصل ، طبقا لسياسة السلطان محمود الثاني 1809-1839 . اذ عين متصرفا للواء كركوك سنة 1833 وكانت فاتحة أعماله هناك قضاءه على جيش الانكشارية فيها واحلال الجيش النظامي محله ثم وطد الأمن فيها وشرع في إدخال الإصلاحات الحديثة. في سنة 1835 صدر فرمان سلطاني بتعيينه متصرفا للواء الموصل. وقد قدم الموصل بثلاث كتائب من الجيش النظامي الجديد وثلاثمائة من الخيالة ثم اصدر امراً بجمع النفير العام. ويمكن اعتبار القوة التي قدم به الموصل بمثابة نواة للجيش السادس الذي صدرت الأوامر بتشكيله سنة 1847.

كانت الدولة العثمانية مقسمة من الناحية العسكرية إلى سبع دوائر وضعت فيها سبعة جيوش في كل دائرة منها جيش كامل من المشاة والخيالة والمدفعية. وكانت الجيوش تسمى بالنسبة لتسلسل هذه الدوائر بالجيش الأول الهمايوني " برنجي اوردو همايوني"

ومقره العاصمة استنبول ،والجيش الثاني الهمايوني، والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع

أصبحت بغداد مقراً للجيش السادس الهمايوني " التنجي اوردو همايوني". وقد اتسعت دائرة الجيش السادس لتشمل ولايات البصرة وبغداد والموصل . ويرجع الفضل في هذه التشكيلات إلى المشير الالمانى فون دركولنز وهو من ضباط هيئة الأركان العامة الألمانية الذي أعيرت خدماته بصورة خاصة لإصلاح نظم التدريب العسكري وتأسيس وإصلاح برامج المدارس العسكرية.

كانت الخدمة العسكرية إجبارية للمسلمين من الرعايا العثمانيين لمدة عشرين عاما تبدأ من سن العشرين وتستمر حتى سن الأربعين . أما المسيحيون واليهود وباقي العناصر غير المسلمة فيعوضون عن التجنيد بمبلغ من المال يسمى "البدل النقدي" . وبعد الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 وخلعه سنة 1909 عدل قانون التجنيد بان اصدر مجلس المبعوثان(النواب ) في تموز سنة 1909 قرارا بجعل الخدمة العسكرية اجبارية بحيث تشمل جميع عناصر الدولة العثمانية دون استثناء .

لقد استقبل ذلك القرار بحماسة منقطعة النظير في الموصل ، إذ ابرق دواؤد يوسفاني مبعوث الموصل في آب 1909 من استنبول يبشر المسيحيين بالقرار المذكور . وعندما أصابت (القرعة) عددا من المسيحيين سار هؤلاء من "البطركخانة" الى "القشلة الهمايونية" باحتفال عسكري تتقدمهم الموسيقى وتخفق أمامهم الأعلام العثمانية وكان أهالي الموصل قد احتشدوا في الطريق يهللون لهم ويباركونهم وعندما وصلوا إلى " القشلة " العسكرية أقيم احتفال خطابي ألقى فيه خطب عديدة بهذه المناسبة.

نظمت الخدمة العسكرية في الجيش العثماني على أربع درجات وذلك على النحو التالي:

1. نظامية: وهي إجبارية وكانت مدة الخدمة فيها(4) سنوات ثم اصبحت بعد ذلك (3) سنوات .
2. احتياطية : وهي تابعة للنظامية ومدة الخدمة فيها سنتان ثم أصبحت بعد ذلك (5) سنوات .
3. الرديف: ومدة الخدمة فيها (6) سنوات ثم أصبحت (12) سنة .
4. المستحفظة : وهي متممة للرديف وكانت مدة الخدمة (8) سنوات ثم قلصت الى (5) سنوات . ولايدعى المستحفظة الى الخدمة الفعلية الا عند الحاجة القصوى.

بالرغم من اهتمام الحكومة العثمانية بتقوية الجيش السادس إلا أن الواقع العسكري في جهات الموصل خاصة يشير الى عكس ذلك . فقد ازداد تهرب الناس من الخدمة العسكرية بشتى الطرق. كما كثرت حالات فرار الجنود. ولعل ذلك يرجع إلى استعمال أساليب العنف والقسوة عند جمع (القرعة) وطول مدة التجنيد. كما ان النظم العسكرية السابقة كانت تساعد الناس على التهرب من الجندية بصورة غير مباشرة فقد أعفت طلاب الدارس الدينية من التجنيد . كما تحايلت بعض الطوائف كاليزيدية مثلاً على التخلص من الجندية بدعوى أن التجنيد يتعارض مع قيامها بواجباتها الدينية .

#### المرحلة الثانية: في عهد حكم الاتحاديين 1908-1918

أعيد توزيع القطعات العسكرية للجيش السادس بعد الانقلاب العثماني سنة 1908. فكان نصيب ولاية الموصل من هذه الفرق والالايات مايلي :

#### 1- المشاة

الفرقة	اللواء	الالاي
22- السليمانية	43- السليمانية	85- السليمانية
		86- حلبجة
	44- خانقين	87- خانقين
		88- بعقوبة
23- كركوك	45- كركوك	89- كركوك
		90- بازيان
	46- راوندوز	91- راوندوز
		92- كويسنجق
24- الموصل	47- الموصل	93- الموصل
		94- بعثيقة

95-دهوك	48-دهوك	
96-عقرة		
34-كركوك	18-كركوك	2-الخيالة
35-السليمانية		
36-الموصل		

يبدو من فحص الإحصائية السابقة أن التقسيمات العسكرية ليست منطبقة انطباقاً تاماً على التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية فقد دخل اللواء الذي كان مقره في خانقين ضمن القوات العسكرية في ولاية الموصل ، على الرغم من أن خانقين لأتتبع الموصل إدارياً. كما يلاحظ أيضاً خلو الموصل من قطع المدفعية التي كانت قد تركزت في بغداد والديوانية .

وفي سنة 1913 ادخلت التنسيقات على الجيش العثماني وجعل على شكل فيالق وفرق. وقد أصاب الموصل جزءاً من هذه التنسيقات. إذ جعلت ولاية الموصل مقراً للفيلق الثاني عشر. الذي تألف من فرقتين، الفرقة (35) ومقرها في الموصل ، والفرقة (36) ومقرها في كركوك .

ازداد اهتمام الاتحاديين (1908-1918 )، برفع مستوى الجيش السادس وخاصة بعد ان تفاقمت أوضاع الولايات العراقية. ومنها ولاية الموصل بسبب التمردات والاضطرابات العشائرية. لهذا فقد انيطت بوالي بغداد صلاحية الإشراف على ولايتي الموصل والبصرة من الوجهة العسكرية ، وخول الوالي ناظم باشا الذي وصل بغداد في 25 ربيع الآخر 1328-1910 سلطة واسعة ، وعهد إليه بتنظيم الجيش السادس وذلك بضبط الأمن وإخضاع العشائر. كما خول صلاحية عزل جميع أركان الحرب في الجيش السادس واستبدالهم بضباط قادرين على تنظيم ذلك الجيش . كما أصبح له الحق في عزل وتعيين الموظفين المدنيين مع إبقاء التبعية الإدارية والمالية لكل من والي الموصل ووالي البصرة، على أن يبلغ والي بغداد بكل أحداث الولاياتين ويأخذ راية في جميع الأعمال والاتفاق معه حول الشؤون المختلفة حتى يكون العمل موحداً وجارياً على منهاج واحد وطريقة منظمة .

يقول الفريق الركن شكري محمود نديم -رحمه الله- في بحثه الموسوم : " التشكيلات العسكرية في الموصل " والذي نشره في موسوعة الموصل العسكرية التي أصدرتها جامعة الموصل سنة 1992 أن القيادات العثمانية عملت بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914-1918 ، على تنظيم قواتها ، وعينت خليل باشا قائدا للجيش السادس قائداً للقوات العثمانية في قفقاسيا التي دخلتها بعد إعلان الثورة الاشتراكية العظمى في روسيا (تشرين الاول 1917) . وتسلم القيادة في العراق بدلاً منه " علي إحسان باشا" ، وفتح مقره في الموصل في 1 أيلول 1918 وقد حشد كل القوة المتيسرة لديه وهي حوالي (4000) مقاتلا و(50)مدفعاً في موضع الفتحة.

دارت معارك (الفتحة والجرفان ) في الفترة من 18-30 تشرين الأول 1918 ،وانتهت بهزيمة القوات العثمانية والتي كانت تواجه قوات تتفوق عليها بثلاثة أضعاف في العدة والعدد وتدعمها الطائرات والدروع .وخلال فترة القتال بدأت مفاوضات الهدنة بين بريطانيا والدولة العثمانية في 20 تشرين الأول 1918وقد كانت أوامر علي إحسان إلى قائد الجبهة صريحة بمحاولة تأخير زحف البريطانيين إلى أطول فترة ممكنة بغية منعهم من كسب الأراضي قبل عقد الهدنة .

قرر البريطانيون الزحف شمالاً بأقصى سرعة ودخول الموصل قبل إعلان الهدنة واستفادوا من احدى بنود الهدنة التي تتيح لهم التقدم اذا شعروا بوجود خطر على قواتهم .وعلى الرغم من أنهم نجحوا في القضاء على القوات العثمانية بعد تطويقها ، فأنهم لم ينجحوا في دخول مدينة الموصل واحتلالها . كما ان علي احسان باشا قد فشل فشلاً عسكرياً كبيراً مقابل نجاحه السياسي الذي لم يتمتع به طويلاً ، فقد ضحى بقواته الميدانية في سبيل الاحتفاظ بالموصل لكنه كما سوف نرى عجز عن الاحتفاظ بها ، فقد تلقى يوم 31تشرين الأول 1918نبأ عقد الهدنة والأمر بإيقاف القتال من القيادة العامة العثمانية . وكانت القوات البريطانية على الخط العام ( خانقين-كفري- كركوك- القيارة- عنه). واستمر البريطانيون في زحفهم شمالاً، برغم عقد الهدنة، فوصلت قطعاتهم السيارة المؤلفة من المدرعات والخيالة حمام العليل يوم 1 تشرين الثاني وتوقفت فيها . وامتنع علي احسان عن إخلاء ولاية الموصل ، إلا إن القائد البريطاني الجنرال وليم مارشال وجه له إنذارا بضرورة الانسحاب وترك ولاية الموصل كلها بين 8 تشرين الثاني و15منه فاضطر علي إحسان للرضوخ . وفي 10 تشرين الثاني 1918 دخلت القوات البريطانية الموصل دون قتال، كما انسحبت بقايا القوات العثمانية من ولاية الموصل كلها نحو نصيبين وجزيرة ابن عمر.

## المرحلة الثالثة: في عهد الاحتلال البريطاني 1918-1920

كانت الأراضي العراقية التي دخلتها قوات الاحتلال البريطانية تخضع لحكم عسكري مباشر واستمر هذا الحكم منذ الإنزال البريطاني في الفاو في 6 تشرين الثاني 1914. واستقر بمقياس واسع بعد احتلال البصرة في 22 تشرين الثاني 1914 ومن ثم بغداد في 11 آذار 1917. وكان الحكم يمارس في أنحاء العراق المختلفة عن طريق الحكام السياسيين وهم ضباط من الجيش البريطاني POLITECAL OFFICERS يديرون شؤون الاقضية والنواحي المهمة وكان على رأسهم ضابط سياسي بريطاني هو السير برسي كوكس الذي رافق القوات البريطانية منذ شروعها في الحركات العسكرية. وباستمرار الحرب قامت القيادة البريطانية بتشكيل قوة من المجندين المحليين الذين عرفوا ب (الليفى LEVIES ) كانت تقوم بواجب القوة الاجرائية التنفيذية لجهاز الحكم الذي كان يدير الشؤون المدنية وذلك لتتفرغ القوات المسلحة البريطانية لواجباتها الأصلية .

نظم البريطانيون قواتهم في الموصل بعد احتلال الولاية ووضعوا حامية بحجم فرقة تقريبا في مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها .وكما هو معروف فإن الفرقة 18 الهندية وملحقاتها كانت هي التي عسكرت في الموصل والى جانبها سرايا من الليفى وتشكيلات من المشاة والخيالة ووحدة مدفعية .ووصل تعداد القوة البريطانية سنة 1922 الى 6200 مقاتل . وخلال هذه المرحلة انشأ البريطانيون مطارا في الموصل ، وأقاموا معسكرا في منطقة الغزلاني لإسكان قواتهم المرابطة في الموصل .